من المقاصد البلاغيّة للتعريف والتّنكير في القرآن الكريم

One of the rhetorical purposes of definition and denial in the Noble Qur'an

أ. هشام عطاءالله‡

تاريخ الاستلام: 29 /03/ 2021 تاريخ القبــول: 2021.05.03

ملخّص: إنّ التّعريف والتّنكير من الأساليب اللغوية القرآنية؛ ينتج عن اللفظة القرآنية سواء جاءت معرفة أم نكرة أغراض بلاغية تدرك من خلال السياق وقرائن الأحوال، وكذا بالمقارنة بين الآيات التي وردت فيها اللفظة المعرفة أو المنكرة، مفردة أو مكررة.

إضافة إلى أنّ لكل نوع من أنواع المعرفة أغراض بلاغية، تميّزه عن سائر الأساليب اللغوية. والتأمل في أسلوب التعريف والتنكير ممّا يعين على إدراك وجه من وجوه الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم.

كلمات مفتاحيّة: التعريف؛ التنكير؛ الأغراض؛ القرآن الكريم.

Abstract: Definition and denial are Qur'anic linguistic methods. The Qur'anic word, whether knowledge or denial, results in rhetorical purposes that are understood through context and circumstantial evidence, as well as a comparison between the verses in which the word known or denied, singular or repeated.

---

‡ جامعة الجزائر 1. كلية العلوم الإسلامية، البريد الإلكتروني:
hichemattdz@gmail.com (مؤلّف مرسل)

In addition, each type of knowledge has rhetorical purposes that distinguish it from other linguistic methods. And meditation on the method of definition and denial, which helps to realize one of the aspects of the linguistic miracle of the Holy Qur'an.
Keywords: the definition ; Denying; the stuff; The Holy Quran.

1. **مقدّمة:** إنَّ أي أسلوب من الأساليب القرآنية إنما هو مقصود بالدقة ومن بين الأساليب القرآنية التي روعي فيها الدقة في اختيار الألفاظ التعريف والتنكير. فقد روعي ذلك التوازن الدقيق بين تعريف الألفاظ وتنكيرها في البيان القرآني. إنَّ مجئ لفظ في القرآن معرفة، ومجئ لفظ آخر نكرة، لم يكن مصادفة في القرآن، إنَّما هو مقصود في كل موضع وجئ به على تلك الحالة لينسجم مع السياق الذي ورد فيه ويتناسق معه، و لحكمة يعلمها الله، وسر تقتضيه اللغة ومناسبة يتطلبها السياق ... ولوحاولنا وضع أحد اللفظين مكان آخر لاختل تناسق الآية، و زال الترابط في صياغة ألفاظها وإنّ تدبر السياق في الآية يقود إلى معرفة الحكمة في مجئ اللفظ معرفة فيها، بينما ورد اللفظ نفسه نكرة في موضع آخر،فالسياق المعجز هو الحكم في ذلك، وهو الأساس في سر اختيار اللفظ معرفة أو نكرة . [1]

2. اللفظ الواحد بين التعريف والتنكير:

1.2.كلمة حياة : وردت كلمة حياة في عدة مواضع من القرآن الكريم نكرة وفي مواضع أخرى معرفة، ولكل موضع غرض بلاغي وسر بياني أضرب أمثلة لذلك :

كلمة حياة نكرة:

أ) تنكير (حياة) للتحقير:

من المواضع التي وردت فيها "حياة "نكرة قوله تعالى: **(وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ**

بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ) سورة البقرة :96 تنكير "حياة " في الآية للتحقير؛ لأنّ الكلام فيها عن اليهود، وذمهم وتوبيخهم لحرصهم على الحياة الدنيا، فالآية تخبر عن حرص اليهود على أن يعيشوا حياة مديدة وأن تطول أعمارهم، وهم في هذا أحرص الناس، على اختلاف أجناسهم حتى المشركين الوثنيين الكافرين، فاليهودي يتمنى ويوَّدُ لو يطول عمره، وأن يعمَّر ألف سنة، مع أنه لن يعيش إنسان ألف سنة، وهذا التمني اليهودي بسبب حرصه على "حياة ".[2]

قال عبد القاهر الجرجاني:"إذا أنت راجعت نفسك وأذكيت حِسَّك وجدت لهذا التنكير وأن قيل: على حياة ولم يقل على الحياة، حسناً وروعة ولُطْفَ موقع لايقادر قدره، وتجدك تعدم ذلك مع التعريف، وتخرج عن الأريحية والأنس إلى خلافهما، والسبب في ذلك أن المعنى على الازدياد من الحياة لا الحياة من أصلها، وذلك أنه لا يحرص عليه إلا الحي، فأما العادم للحياة فلا يصح منه الحرص على الحياة ولاعلى غيرها " [3]

ب) تنكير "حياة "للتشريف: في قوله تعالى: **(مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)** سورة النحل :97 تنكير "حياة "في هذه الآية للتكريم والتشريف، لأن السياق في الثناء على المؤمن الصالح، وفي وعد إلهيٍّ متحقق بأن يجعله يعيش في الدنيا"حياة طيبة " ومما يدلُّ على تشريف هذه الحياة وصفها بأنها "طيبة "وهي طيبة لأن صاحبها يحياها ويعيشها في طاعة الله، ويكثر فيها من الأعمال الصالحة. [4]

ج) تنكير "حياة "للتعظيم: جاء تنكير الحياة للتعظيم في قوله تعالى: **(وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)** سورة البقرة 179 يخبر الله المؤمنين أنهم عندما يقتصون من القاتل المتعمِّد الذي يقتل المسلم بغير حق، فإنهم بذلك يحققون "حياة "لهم.

وتنكير "حياة " في هذه الآية للتعظيم، ففي القصاص يعيش المؤمنون حياة عظمى قائمة على المودة والمحبة والأخوة والسلام، لايشوهها العدوان والظلم والأخذ بالثأر وسفك الدماء.

والتنكير أيضاً للعموم فكلمة "حياة "عامة في دلالتها، وتشمل كل وصف من أوصاف الحياة اللطيفة الطيبة.[5]

قال عبد القاهر الجرجاني: "وذلك أن السبب في حسن التنكير، وأن لم يحْسُن التعريف، أن ليس المعنى على الحياة نفسها، ولكن على أنه لما كان الإنسان إذا علم أنه إذا قتل قُتِل، ارتدع في مستأنف الوقت مستفادة بالقصاص وصار كأنه قدحيي في باقي عمره به ..." [6]

كلمة"حياة" معرفة: في قوله تعالى: **(وَإِنَّ الدَّارَ الْآَخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ)** سورة العنكبوت :64

إنَّ لفظة " الحيوان " جاءت معرفة بأل التعريف، وهي صيغة مبالغة بالألف والنون و "الحيوان " مصدرٌ على وزن "فعلان " تقول: حَيِيَ، يحْيا حياة وحيواناً.

أي: أن الفعل "حيي" له مصدران: حياة، وحيوان. والألف والنون في "الحيوان" للمبالغة، و"الحيوان" لم يرِدْ في غير هذا الموضع في القرآن وهو وصف للحياة الآخرة؛ لأنّها باقية دائمة. [7]

قال الزمخشري: "وفي بناء (الحيوان) زيادة معنى ليس في بناء (الحياة) وهي مافي بناء (فعلان) من معنى الحركة والاضطراب ...والحياة حركة، كما أن الموت سكون، فمجيئه على بناءٍ دالٍّ على معنى الحركة، مبالغة في معنى الحياة، ولذلك اختيرت (الحيوان) على (الدنيا) في هذا الموضع المقتضي للمبالغة[8] قال الراغب الأصفهاني:" الحيوان مقر الحياة. ويقال على ضربين: أحدهما: الحيوان الذي له حاسة. الثاني: ماله البقاء الأبدي؛ وهو المذكور في قوله عز وجل: **(وَإِنَّ الدَّارَ الْآَخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ)** وقد نبه بقوله **(لَهِيَ الْحَيَوَانُ)** أن

الحيوان الحقيقي السرمدي هو الذي لايفنى، لامايبقى مدة ثم يفنى "[9]. وإن كانت حياة الناس في الدنيا تسمى "الحياة الدنيا"فإن الحياة الحقيقية هي حياة الآخرة، وهي "الحيوان". ولم يذكر "الحيوان " في القرآن إلا وصفاً للحياة الأبدية في الدار الآخرة [(10)].

2.2 كلمة سلام: ورد السلام في سورة مريم نكرة مع يحيى عليه السلام في حين أن السلام مع عيسى عليه السلام جاء معرفة.

ورد الإخبار عن يحيى عليه السلام قوله تعالى: **(يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (12) وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا (13) وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا (14) وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا)** سورة البقرة: 12-13-14-15. إنَّ السياق ثناء على يحيى عليه السلام وذكر لبعض صفاته الطيبة وإخبار من الله أنه منحه "سلاماً " في المواطن الثلاثة: يوم ولادته، ويوم موته، ويوم بعثه في الآخرة :(**وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا)**

فالمتكلم هو الله تعالى، ولذلك جاء "سلام " نكرة، لأن أيّ سلام من الله تعالى على يحيى عليه السلام كاف من كل سلام، ومغنٍ عن كل تحية ومقرِّب من كل أمنية وأدنى سلام يستغرق الوصف، ويتم النعمة، ويدفع اليأس ويطيب الحياة، ويقطع موارد الهلاك ... وبما أن المتكلم بالسلام هو الله فلا داعي لتعريف الكلمة، ولهذا جاءت نكرة (وسلام عليه) . [(11)]

أما عيسى عليه السلام فقد جاء «السلام" بشأنه معرفة قال تعالى :(**قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (30) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (31) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (32) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا)** سورة مريم :30-33 وحكمة مجئ "السلام " هنا معرفة أنه ليس إخباراً من الله، و إنما هو كلام عيسى عليه السلام، نطق به وهو في حضن أمِّه، وقدَّم نفسه للمستعين وعرف نفسه، وختم

بيانه وكلامه بالدعاء، حيث دعا الله أن يمنحه السلام في المواطن الثلاثة : يوم ولادته، ويوم موته، ويوم بعثه حياً في الآخرة . وبما أنه دعاء من عيسى عليه السلام لربه، فقد ناسب أن يكون معرفة :(**وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا**)، فعيسى عليه السلام يريد من الله (السلام) الكثير العام الشامل الغزير، وهذا ناسب مجئ الكلمة معرفة. وفي مجئ السلام بالنسبة لعيسى عليه السلام معرفة إشارة إلى أن (السلام) من الله على عيسى أخص من سلام الله على يحيى، وأن عيسى أفضل من يحيى عليهما السلام. [12]

3. تكرار الاسم في التعريف والتنكير.

1.3 تكرار الاسم المعرفة: إذا تكرر الاسم المعرفة مرتين فالثاني فيه هو الأوّل غالبًا حملاً له على المعهود الذي هو الأصل في اللام أو الإضافة كـ "العسر" في قوله تعالى :(**فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (5) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا**) سورة الشرح:3-5.

ورد في الآية الكريمة العسر مرتين، فالعسر الثاني هو العسر الأول لأن اللام عهدية. [13]

2.3 تكرار الاسم النكرة: إذا تكرر الاسم النكرة مرتين، فالثاني غير الأول وإلا لكان المناسب هو التعريف بناء على كونه معهودا سابقاً، والمعنى في هذا والذي قبله أن النكرة تستغرق الجنس والمعرفة تتناول بعضاً منه فيكون داخلا في الكل سواء قدم أم أخر والمشهور في تمثيل هذا القسم اليسر في قوله تعالى:(**فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (5) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا**) **سورة الشرح:3-5**

إنَّ العسر الثاني هو العسر الأول، وإن اليسر الثاني هو غير اليسر الأول. وجاءت كلمة يسراً منكّرة للتفخيم كأنه قيل: إن مع العسر يسراً عظيماً وأيّ يسر فتأوله بيسر الدارين، وذلك يسران في الحقيقة.

والآية تقدم البشرى لأصحاب الابتلاء والضّراء والمحنة والضيق والعسر بزوال ما بهم من ذلك، وحلول اليسر مكانه، وتملأ قلوبهم أملاً بذلك فنسبة العسر إلى اليسر هي نسبة واحد إلى اثنين، فلينظروا اليسر بأمل عريض. (14).

4. الحكمة في تنكير"أحد" وتعريف "الصمد" قال الله تعالى : **(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4) سورة الصمد 1 –4** في هذه السورة الكريمة وردت كلمة أحد نكرة في الآية الأولى:**(قُلْ هُوَ اللَّهُ)** ووردت كلمة **(الصَّمَد)** معرفة: الله الصمد، والآيتان تتحدثان عن الله سبحانه وتعالى، والحكمة في هذا أن كلمة **(أَحَدٌ)** مسبوقة بكلمتين معرفتين هما :

(هُوَ اللَّهُ)، وهما مبتدأ وخبر، وكون المبتدأ والخبر معرفة دل على الحصر واستغني بتعريفهما ودلالتهما عن تعريف **(أَحَدٌ)**، وجاء نكرة. وأحد خبر ثان مرفوع. وهناك سر بياني آخر وهو أنه جاء نكرة للتعظيم والتفخيم والتكريم وللإشارة إلى أن الله سبحانه لايمكن تعريفه ولا الإحاطة به.

(الصَّمَد) فقد وردت في الآية الثانية معرفة؛ لأنه خبر، فقوله **(اللَّهُ الصَّمَدُ)** مبتدأ وخبر، وجاءا معرفتين ليطابقا المعرفتين في الآية الأولى: **(هُوَ اللَّهُ)**، وتعريف الله الصمد يدل على الحصر أيضاً. فقوله هو الله أحد يدل على الحصر لتعريف المبتدأ والخبر، فالوحدانية أو الأحدية محصورة بالله، وقوله **(اللَّهُ الصَّمَدُ)** يدل على الحصر أيضاً، لتعريف المبتدأ والخبر، والصمدانية محصورة بالله. (15).

5. خاتمة: في نهاية البحث نخلص إلى مايلي:

–إن التعريف والتنكير في القرآن الكريم مقصود؛

–لمعرف الأغراض البلاغية للتعريف والتنكير لابد من مراعاة السياق وقرائن الأحوال؛

-لابد من المقارنة بين المواضع التي وردت فيه اللفظة المعرفة أو المنكرة مع تعليل سبب ورودها نكرة في موضع ومعرفة موضع آخر.إضافة إلى الأسرار البيانية لتكرار اللفظة.

وصلى الله وسلم عل نبينا محمد وعلى آله وسلم .

6. قائمة المراجع:

القرآن الكريم، رواية حفص عن عاصم.

الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب، (نشر مكتبة نزار مصطفى الباز).

الخالدي، صلاح عبد الفتاح، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني (عمان: دار عمار، 2000م).

السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، 1426ه).

الطاهر بن عاشور، التحرير التنوي، (تونس: المكتبة التونسية، 1984).

عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تعليق محمود شاكر، (القاهرة: مكتبة الخانجي).

8. هوامش :

[1]([1]) ينظر: الخالدي، صلاح عبد الفتاح، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني (عمان: دار عمار، ط2000،1م)، ص230-231.

([2]) ينظر: إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، ص231-232.

([3]) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تعليق محمود شاكر، (القاهرة: مكتبة الخانجي) ص288.

([4]) إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، ص232.

([5]) ينظر: ينظر: الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، (تونس: المكتبة التونسية 1984)ج2،ص144-145 إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني،232-233.

([6]) دلائل الإعجاز، ص289.

([7]) ينظر: إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، ص234.

([8]) الزمخشري، الكشافات خليل شيحا، (بيروت: دارالمعرفة،2009) ص 823

([9]) الأصفهاني الحسين بن محمد المفردات في غريب، (نشر مكتبة نزار مصطفى الباز) ص183.

([10]) ينظر: إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، ص234-235.

([11]) ينظر: التحرير والتنوير ج16، ص77. إعجاز القرآن البياني ودلال مصدره الرباني ص237.

([12])ينظر: التحرير والتنوير،ج16،ص100-101.إعجاز القرآن ودلائل مصدره الرباني البياني،ص236-237.

([13]) ينظر: الكشاف، ص 1210. التحرير والتنوير، ج 30، ص413-414.

([14]) ينظر: الكشاف، ص 1210.إعجاز القرآن ودلائل مصدره الرباني البياني، ص239.

([15]) ينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، المدينة المنورة، 1426هـ، 8، ص1288. إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، ص 235-236.